جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 39 / آذار 2024

الروابط الحجاجية في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام)

Argumentative connections in the Fadak sermon of Lady Al-Zahra (peace be upon her)

م.د عصام راضي حسون المسعودي
Lecturer. Dr. Essam Radi Hassoun Al-Masoudi

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: الروابط الحجاجية، روابط التعارض الحجاجي، روابط التساوق الحجاجي، روابط العطف الحجاجي، الخطبة الفدكية.

Keywords: Argumentative Connections, Argumentative Contradiction Connections, Argumentative Consistency Connections, Argumentative Connections, Al-Fadak Sermo

الملخص

يُعدّ خِطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) مُدونة تراثية فكرية، فهو من أعمق النصوص الأدبية وافصحها، وهذا ديدن آئمة أهل البيت (عليه السلام)، والخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) – موضوع البحث – يمكن مقاربتها حجاجياً عن طريق دورها في إقناع الآخر والتأثير فيه، فقد توافرت في هذه الخطبة مجموعة من الروابط التي تميزت بفاعليتها الحجاجية، وتوجيه دلالة المحاججة، لذلك سوف نعمد في هذه الوريقات البحثية إلى إعطاء صورة مكثفة لأهم الروابط الحجاجية التي ترد في هذه الخطبة معتمدين في تقسيمها وفق ما يأتي:

1- روابط التعارض الحجاجي.
2- روابط التساوق الحجاجي.
3- روابط العطف الحجاجي.

Abstract

The speech of Lady Al-Zahra (peace be upon her) is considered an intellectual heritage record. It is one of the deepest and most eloquent literary texts, and this is according to the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon her). The Fadki sermon of Lady Al-Zahra (peace be upon her) - the subject of the research - can be approached argumentatively through its role in persuading... The other and the influence on it. This sermon contained a group of links that were distinguished by their argumentative effectiveness and directing the meaning of the argument. Therefore, in these research papers, we will intend to give a condensed picture of the most important argumentative links that appear in this sermon, relying on dividing them according to the following:

1.Links of argumentative contradiction.

2.Argumentative coherence links.

3.Argumentative conjunct

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله و صحبه الكرام الطيبين الطاهرين، سفن النجاة و منارات الهدى إلى يوم الدين.

وبعد، فإن الظلم عندما ينشر أجنحته على المجتمع، و يمد سيقانه البغيضة في حياة الأمم، تضطر العدالة للانسحاب من مواقعها، ويبدأ الجور بسلب الحقوق والكرامات، وتصبح المصالح و الرشوات هي لغة التعامل، حينها يسود الانحراف حياة الناس فيصبح الدين اسما و القران رسما، و تتبخر قيم الإسلام و مفاهيمه، وبالمقابل تتورم طقوسه وقشوره، فيصبح المعروف منكرا و المنكر معروفا، فيتسلل إلى قيادة الأمة طغاة مستبدون، يحكمون

باسم الإسلام في الوقت الذي يفتكون بقيمه و ينسفون مبادئه، بعد أن فرضوا أنفسهم بالقوة دونما أية مؤهلات ترشحهم للخلافة و الحكم، و قد استعنت بالله، و أخترت خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) موضوعاً لبحثي، وقد دفعتني للكتابة في هذا الموضوع رغبتي في الكتابة عن رمز من رموز آل البيت (عليهم السلام) تتجلى فيه المعاني السامية التي تجسّدت فيها مفاهيم الاسلام و أخلاقه و الروح الجهادية سواء في ذلك في حياتها في كنف أبيها أم في ظلّ بعلها أم في ممارسة دورها الجهادي في الدفاع عن حقها في فدك.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة و مبحثين، كان المبحث الاول دراسة نظرية في مفهوم الروابط الحجاجية، اما المبحث الثاني فهو دراسة تطبيقية في الخطبة الفدكية بمقاربة تداولية، وفي الخاتمة أوضحت أهم النتائج التي توصل إليها البحث

المبحث الأول: المحور النظري

مفهوم الروابط الحجاجية

تدور معاني الروابط في المعجم العربي حول التوثيق والتثبيت والشد[1] أما في الاصطلاح فهي: ((العلاقة التي تحصل بين شيئين ببعضهما البعض، ويتعين كون اللاحق منهما متعلقاً بسابقه))[2] فثمة علاقة . إذن . سياقية بين معنيين، تربطهما واسطة تدل على تلكم العلاقة، فالربط حلقة وسطى بين الارتباط والانفصال[3]ولما كانت اللغة لها وظيفة حجاجية، وكانت التسلسلات الخطابية فيها محددة بوساطة بنية الأقوال اللغوية بتوظيف مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج توصف بالروابط الحجاجية[4] فعليه لا يمكن معرفة قيمة هذه الروابط الحجاجية إلا عن طريق دورها في الربط الحجاجي بين قضيتين، على أن تكون هاتان القضيتان حجاجاً في الخطاب، وأن وجود الرابط الحجاجي لا يكفي وحده للنهوض بالدلالة الحجاجية برمتها، ما لم تكن ثمة علاقة بين القولين؛ فـ ((لكل قول دورٌ محددٌ داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة))[5] إذ تؤدي الروابط الحجاجية على وفق ذلك مهمة إبراز الدلالة الحجاجية بحكم تواشجها مع نسيج النص؛ لأنها تبرز ضمن مكوناته اللغوية التي تأتي ضمن((خليط من الروابط والعوامل تتطلب النظر في الوجوه والفروق بينها للوقوف على أيها أقوى حجاجاً أو ما يتولد عن تعاملها من فروق))[6] إذ تتفاعل هذه الروابط داخل نسيج الخطاب؛ لتخلق الدلالة الحجاجية ؛ مما يجعل التوقف عندها أمراً لابد منه لدورها الفاعل والمهم في النص فـ ((الروابط الحجاجية لا يمكن أن نعرف قيمتها الحجاجية إلا بالعودة إلى سياقها ؛ لذا تعد الروابط مؤشراً مهمته القيام بعمليات حجاجية))[7] نكشف من خلالها عن استراتيجية المرسل أمام المتلقي، وفي هذا تعبير عن موقف المرسل من المتلقي، ومن المتحدث عنه أيضاً، وبالنتيجة يكون هنالك فهم جيد للأفكار المطروحة من أجل تدعيم قوة ما وبيانها في النص الخطابي فالتأثير في الخصم أو المتلقي يؤدي إلى لجوء المرسل إلى آليات لإثبات الادعاء من أجل التمكن من هذا التأثير من خلال سمات لها علاقة بالمقام المعرفي فـ ((هذه العملية تخضع لعملية تفكير تساير المنطق، وتأخذ وضعية المخاطب الاجتماعية

والمادية ومؤهلاته الفكرية بعين الاعتبار؛ فيحصل أن يكون الإقناع إما واضحاً يستخلص من المعطى الظاهري للخطاب، وإما أن يكون ضمنياً يستخرج من المعطى الاجتماعي الاقتضائي للخطاب))[8].

يرى ديكرو أن الروابط الحجاجية تخدم التوجه الحجاجي، ولاسيما هي ليست شيئاً مضافاً إلى اللغة، بل إنها موجودة في نظام اللغة الداخلي، وأن الروابط بصورة عامة لا تنحصر في وظيفة أحادية فقط هي الأغراض اللغوية، ولكنها أيضاً تؤدي أغراضاً استدلالية حجاجية، فضلاً عن وظيفتها الرابطة[9] فتسهم مساهمة فاعلة في الانسجام والتماسك النصي؛ لتغري متقبل الخطاب إغراء ربما يحمله على الإذعان أو التسليم بأطروحة المحاج، ولاسيما إذا كان المتلقي يتزود من المرسل بمعرفة لم يكن يعرفها سابقاً بإنشاء حدث إقناعي موجه إلى التدليل على صحة الدعوى إذ إن ((هنالك بعض الأدوات اللغوية التي يكون دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججاً في الخطاب))[10] إذ تضفي الروابط على النص الاتساق، وربط الجزء بمعناه من أجل تدعيم قوة ما وبيانها، يقال ضمن المواضعة الاجتماعية التي تخضع للمعرفة الشعبية المتداولة. وتمثل هذه الروابط علاقة الشخص بأفعاله وما يتركه من تأثير على المتلقي، وهي تؤدي دوراً متميزاً في زيادة الإقناع[11] لأنها تصل المقدمة بالاستنتاج، وتتدخل في توجيه الدلالة الحجاجية[12] وتشتمل اللغة العربية كسواها من اللغات على الروابط الحجاجية التي لا يمكن معرفتها إلا بالإحالة إلى قيمتها الحجاجية، ونذكر منها هذه الروابط (بل و لكن و ثم و حتى و بما أن، مع ذلك و ولاسيما و لأن و... إلخ)[13] وسيقتصر الباحث على دراسة الروابط (بل، لكن، ثم، حتى) لأنها من أكثر الروابط وروداً في الخطبة الفدكية، فضلاً عن إسهامها وفاعليتها الواضحة في إبراز الدلالة الحجاجية للنص وجعلها النص أكثر تأثيراً في أداء المعنى المقصود ؛ إذ إنها ((تمثل الروابط التداولية الحجاجية في النص، فتحقق الوظيفة الحجاجية من خلال أنها تضمن تلاحم أجزاء النص، وعناصره واتصال بعضه ببعض))[14] كما أن هذه الروابط لها كثرة في الاستعمال داخل الخطاب، والحوارات اليومية، وعلاقاتها القوية، والواضحة مع المعنى الضمني والمضمر[15] فالروابط تؤدي إلى الانسجام التلفظي في النص باتساع هذا النص أو ذاك أو تدرج الحجة فيه؛ لأن هذه الروابط لها القدرة على تسلسل القضايا، ومن هنا تنقل الروابط الحجاجية الملفوظ من بنية الإخبار والإبلاغ إلى بنية الحجاج التي هي من أهم المرتكزات التي تستند إليها الدلالة التداولية للحجاج في دراستها للغة، فالروابط الحجاجية أدوات إجرائية تنفتح على سياقات مختلفة بفعل ما يوظف فيها من آليات لغوية مختلفة، بغية إيضاح الدلالة الحجاجية التي يؤديها الرابط بكيفية سليمة. تطرح قضية الترابط الحجاجي إشكالية أساسية بالنسبة إلى بنيوية الخطاب المثالي؛ لأنها تدور حول التساؤل عما يجعل من الخطاب وحدة متماسكة لأن الروابط تقع بين الجمل[16] ولما كان الخطاب اللغوي المتسم بالإقناع يخضع في جوهره إلى القواعد اللغوية، فبالنتيجة له القدرة على تقديم الدلالة الحجاجية من خلال الروابط الحجاجية المذكورة آنفاً التي سنبدأ بدراستها على الترتيب، على وفق كثرة وروردها حجاجياً في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) وتأثيرها في أدلجة الحجاج اقناعياً وتأثيراً وهذا ما سنراه في المبحث التطبيقي:

المبحث الثاني: المحور التطبيقي:

يُعدّ خِطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) مُدونة تراثية فكرية، فهو من أعمق النصوص الأدبية وافصحها، وهذا ديدن آئمة أهل البيت (عليه السلام)، والخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) – موضوع البحث – يمكن مقاربتها حجاجياً من خلال دورها في إقناع الآخر والتأثير فيه، فقد توافرت في هذه الخطبة مجموعة من الروابط التي تميزت بفاعليتها الحجاجية، وتوجيه دلالة المحاججة، لذلك سوف نعمد في هذه الوريقات البحثية إلى إعطاء صورة مكثفة لأهم الروابط الحجاجية التي ترد في هذه الخطبة معتمدين في تقسيمها وفق ما يأتي:

1- روابط التعارض الحجاجي.

2- روابط التساوق الحجاجي.

3-روابط العطف الحجاجي.

اولاً: روابط التعارض الحجاجي:

1. الرابط الحجاجي (بل):

تعد الأداة (بل) من الروابط المهمة في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام)، ليس لأنها تقنية من تقنيات الإضراب فحسب، وإنما لأنها من الروابط التي ((تقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين فرعيتين تسيران في اتجاه النتيجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي تأتي بعد (بل) والنتجية المضادة للنتيجة السابقة))[17] وتأتي (بل) بمعناها الجامع للإضراب؛ أي انصراف القول أو الحكم إلى ما يأتي بعد بل، فتارة تأتي لإبطال معنى الكلام، فهي انصراف في الحكم وتارة لمجرد التنقل من خبر إلى آخر مع عدم إبطال الخبر الأول[18] إذ إنها إذا دخلت على الجمل كانت تدل على الإضراب الإبطالي أو الانتقالي[19] ويقصد بالإضراب الإبطالي، أن تأتي الجملة بعد بل فتبطل بها معنى الجملة السابقة كقولنا: ليس يوسف عليه السلام ملاكاً بل بشراً؛ إذ إننا أبطلنا ملائكية يوسف عليه السلام وأثبتنا بشريته بالرابط بل[20] أما الإضراب الانتقالي ؛ فهو أن ينتقل الخطاب بنا من غرض إلى غرض آخر، مع عدم إرادة إبطال الكلام الأول[21] مثل: نجح محمد في الامتحان بل دخل الجامعة.

إن ما يهمنا في (بل) هنا هو إضرابها الانتقالي، أي عندما يكون الإضراب على جهة الترك؛ للانتقال من حجة إلى حجة من غير إبطال الحجة الأولى، وإقامة علاقة محاجة بينهما تخدم النتيجة، ف (بل) التي تكون للإضراب الانتقالي هي من النمط الحجاجي ؛ لأنها تقيم علاقة حجاجية مركبة من علاقتين حجاجيتين ترتبطان بنتيجة، تأتي ضمناً فتتواشج مع الحجة القوية التي تأتي بعد بل، فتشير في اتجاه النتيجة المتوخاة وقد تكون النتيجة مضمرة[22].

ونجد حجاجية (بل) في قول الزهراء (عليها السلام) وهي تخاطب أبا بكر: (سبحان الله ما كان رسولُ الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن كتاب الله صادقاً، ولا لأحكامه مُخالفاً؛ بل كان يتبع أثره[23].

أنّ بل الواردة في المثال هي من النمو الحجاجي الذي أفاد التوكيد فقد توسطت بين حجتين فيما تقدمها كان منفياً (ماكان) في حين جاءت الحجة التي تلتها مثبته (كان) وبذلك يكون الرابط قد أقام علاقة حجاجية بين نفي واحتمال (أنّ يكون رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن كتاب الله صادقاً، ولأحكامه مُخالفاً، وبين اثبات حقيقة الأتباع / اقتفاء أثر القرآن من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) إذ إن الإتباع / اقتضاء أثر القرآن من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في المنظور المضمر عند أبي بكر– فدك لا تورث– بينما هي في المنظور الحجاجي المؤكد بنتيجة مضادة (لا.ن) أن تكون / فدك إرثاً للسيدة الزهراء (عليها السلام) في المنظور الظاهر بدلالة الإتباع/ اقتضاء أثر القرآن من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

ومنه قولها (عليها السلام) مخاطبة إبي بكر: (معاشر الناس المسرعة غلى قيل الباطل المغضبة عن الفعل القبيح الخاسر" افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" كلا بل ران على قلوبهم ما أسأتم من اعمالكم، فأخذ بسمعكم وابصاركم[24].

ف (بل) هنا دلت على التوكيد، فقد توسطت حجتين فيما تقدمها كان منفياً بدلالة الآية (افلا يتدبرون) في حين جاءت الحجة الثانية مثبته (وان على قلوبكم ما أسالكم من اعمالكم، فأخذ بسمعكم وابصاركم، وبذلك امام الرابط علاقة حجاجية قائمة على مسالة خلقية متجذرة في ذرات عقدية واهمة (وابو بكر وحشد المهاجرين والانصار) فكان العلائقي الحجاجي يمثل جوهر الآية إذ روي عن الإمام الصادق والكاظم (عليهما السلام)، أنّ المعنى: أفلا يتدبرون القرآن فيفضي بما عليهم بالحق؟ وتنكير القلوب لإرادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم[25].

فكانت الحمولات الثقافية عند ابي بكر وحشد من المهاجرين والانصار تمثل طبعهم الذي غلب على قلوبهم، ومشكلة نسقهم العقدي خلال مسيرة حياتهم.

2. الرابط الحجاجي(لكن):

تعد الأداة (لكن) من الروابط المدرجة للحجج القوية؛ لذا لقيت اهتماماً كبيراً عند إنسكومبر وديكرو فقد ميزا وجود هذا الرابط في اللغات الأخرى أيضاً[26]، ولما كانت الروابط الحجاجية ((جملة من الأدوات توفرها اللغة ويستغلها الباث؛ ليربط بين مفاصل الكلام، ويصل بين أجزائه فتتأسس عندها العلاقة الحجاجية المقصودة التي يراها مؤسس الخطاب ضرورية؛ لتضطلع الحجة بدورها كاملاً لا نقص فيه))[27] كأن يعتمد الرابط (لكن) ليؤسس بها علاقة استدراك عما قبله لتقوية ما بعده فهي عند النحاة ((تقع بين كلامين لما فيها من نفي وإثبات لغيره؛ فهي تتوسط بين كلامين متغايرين نفياً وإيجاباً يستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي))[28] وتأسيساً على ذلك ؛ فإن الرابط الحجاجي (لكن) يستلزم أمرين عندما يقدم المتكلم قولاً من نمط (أ) لكن (ب) وكالآتي[29]:

1–إن المتكلم يقدم (أ) و (ب) بعدهما حجتين الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن) والحجة الثانية الآتية، بعد الرابط (لكن) تكون موجبة نحو نتيجة مضادة لها (لا . ن).

2– أن المتكلم يقدم الحجة الثانية بعدها الحجة الأقوى، وهي التي توجه القول أو الخطاب برمته.

وبالنتيجة يقوم الرابط (لكن) على التعارض الحجاجي بين ما يتقدمها وبين ما يتلوها وبما أن ما يتلوها يخدم النتيجة المضادة ؛ فعليه تكون الحجة بعدها أقوى من الأولى، وبهذا توجه القول بمجمله نحو النتيجة الثانية

المضادة للأولى؛ إذ إن ((وروده يؤدي إلى توليد طاقة حجاجية إضافية، كما يمكن من الربط بين ملفوظين حجاجيين ربطاً تسانديا جعلهما يتجهان معاً إلى تعزيز النتيجة المضمرة نفسها... كما أن وجود هذا الرابط في الملفوظ يؤدي إلى تقديم إرشادات تحدد وجهته الحجاجية))[30] ويرى الباحث أن (لكن) لها خصوصية على بقية الروابط ؛ ذلك لأنها تربط بين حجتين متعاندتين أو متنافرتين، وتغلب الحجة الثانية الأولى ببلوغها مراميها الضمنية للنتيجة ؛ لأن الحجة الثانية تستجمع قوتها من خلال هذا الرابط الاستدراكي.

وقد وردّ ذكرها في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) في قولها: (ألا وقد قلت ما قلت على معرفة فيّ بالخذلة التي خامرتكم، والقدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ [31].

الذي نلحظ فيه الرابط الحجاجي (لكن) قد عمل تعارضاً حجاجياً بين ما تقدم وما تأخر عنه، فالقسم الأول الذي سبق الرابط قد تضمن حجة تخدم نتيجة ضمنية (أن) من قبيل أن السيدة الزهراء (عليها السلام) تخاطب (أبي قحافة) وجمع (المهاجرين والانصار) (أنه قد قال ما قال، وأنها على معرفة بالخذلان وترك النصر الذي خالطهم، والقدر الذي استشعرته في قلوبهم من خلال الاستعداد التام الظاهر قولاً وفعلاً بزعمهم بعدم احقيتها بفدك، أما القسم الثاني الذي جاء بعد الرابط فقد تضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة (لا.ن) اي تخدم نتيجة أنهم: (يضمرون ما في النفس من الهم وغلبة الحزن بالحقد الدفين والحسد المقيت على آل البيت (عليهم السلام) حتى كأنهم كالمغتاظ الذي يتنفس عالياً تسكيناً لحر القلب، واطفاء لنائرة الغضب بما يبيتونه من ايديولوجيات معرفية دفينة تفصح عن مكنونات لذوات تتعكز على عقيدة كاذبة، وايمان متأرجح بين الظاهر / الإيمان المبطن والمضمر/ النفاق) وفي كل ما سبق، مبعثه محايثة ايدلوجية تغذيها ادلجة تداولية راسخة.

ثانياً: روابط التساوق الحجاجي.

1- الرابط الحجاجي (حتى):

يبرز الرابط الحجاجي (حتى) كعلامة حجاجية فارقة، ويكتسب هذا الرابط أهمية من علاقته الواضحة والقوية مع المعنى الضمني والمضمر، إذ أن دورها لا يقتصر على إضافة معلومة جديدة إلى سياق الجملة كما لو تقول: جاء زيدٌ فتكون حتى زيدٌ جاء اذا كان مجيْ زيد غير متوقع بل ان دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة تردف الحجة التي تسبقها وتساوقها والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوته من حيث القوة الحجاجية[32].

فتتساوق الحجتان في رفد النتيجة بالطاقة الحجاجية المؤثرة، ولكن تبقى الحجة التي يأتي بها الرابط (حتى) هي اقوى من الحجة التي سبقتها، اي ان يكون مابعدها غاية لما قبلها، ولذا اقر ديكرو بأن ((الحجة المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي ان تنتمي الى فئة حجاجية واحدة، اي انها تخدم نتيجة واحدة والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الاقوى، لذلك فأن القول المشتمل على الاداة (حتى) لايقبل الابطال والتعارض الحجاجي))[33].

وقد توافرت في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) الرابط حتى وهو في دلالات متعددة في مقام واحد فتستعمل للتعليل وللغاية كما في قولها: (أيها الناس أعلموا، أني فاطمة وابي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)...

لقد جاءكم، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم.... حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه[34].

فالرابط الحجاجي (حتى) في هذا المثال ينظر إليه من زاويتين من اجل تحقيق غايات اقناعيه فمره يقرأ من زاويه (سببيه) اي ان ما قبلها علة وسبباً وحجة لما بعدها فيكون مرادفاً ل(كي) التعليلية فيكون المثال (فبلغ الرسالة) صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجه المشركين، ضارباً ثبجهم... كي ينهزم الجمع ويولوا الدبر، كي يفرى الليل عن صبحه، وهنا يمكن ان نعد ما قبله حجة وما بعده نتيجة فالسيدة الزهراء (عليها السلام) تقدم حجته بان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) قد بلغّ رسالات الله وقام بأمره.

فضلاً عن ذلك فقد تستعمل (حتى) للغاية فتكون مترادفة ل(إلى) فحكم مابعدها يكون مخالفاً لحكم ما قبلها فيتقرر الحكم قبل (حتى) في إفادة تبليغ رسالات الله والقيام بأمره، اي تكون الحجة التي بعدها غاية لما قبلها، وهما في كل الأحوال يخدمان نتيجة واحدة، وتبقى الحجة التي ترد بعد (حتى) هي الأقوى حجاجيا.

ومن استعمالات الرابط الحجاجي (حتى) ان يكون بمعنى (الغاية) في قول السيدة الزهراء(عليها السلام): (ايها بني قيلة... قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، فلا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون حتى دارت بنا رحى الإسلام، ودر حلب الايام...فأنى حزنتم بعد الإقدام، واشركتم بعد الإيمان[35].

يتضحُ من هذا النص ما يأتي:

ح1: قاتلتم.

ح2: تحملتم.

ح3: ناطحتم.

ح4: كافحتم.

. الرابط الحجاجي: حتى.

ج1: دارت.

ج2: در

هنا تخاطب السيدة الزهراء (عليها السلام) الإنصار (قبيلة الأوس والخزرج) وهي توازن بين نسقين لهما يمثلان واقعين متغايرين:

الأول: تمثل في بداية الدعوة الإسلامية والسعي لتثبيت أركان الدين، وكانوا فيها مُطيعين للرسولِ (صلى الله عليه واله وسلم).

والثاني: بعد الاستقرار الديني، وهنا تورد السيدة الزهراء (عليها السلام) مجموعة من الحجج المحكمة السبك شعورياً واقناعياً قبل الرابط حتى والتي ادت إلى نتيجة متوقعة هي: الاستقرار، ونتائجه تثبيت غرس الدين التي اتضحت بمجموعة من الحجج بعد الرابط _حتى، وماقبل الرابط وبعده يخدمان نتيجة واحدة هي نكوص الانصار وخذلانهم للسيدة الزهراء (عليها السلام) في فدك، والنص هنا برمتهِ يضعُ حدوداً دينية آخروية ينبغي التوقف عندها لأنها متعلقة بوظيفة الرابط (حتى) في الوصول إلى الغاية وتحقيق الإنسجام التداولي، ونظيره هذا المثال:

(وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومزدة أهل الكتاب... قذف آخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ويخمد لهيبها بسيفه[36].

رابعا: روابط العطف الحجاجي:

تتسق مجموعة من الحروف ببعد حجاجي مهم من خلال ربطهما بين الحجج والنتائج والتنسيق بينهما من أجل التعليل والتفسير والتبرير، ومن هذه الروابط أحرف العطف (ثم، الفاء، الواو) إذ انها تقوم بالربط بين قضيتين (حجتين) لنتيجة واحدة، ووصفها سلماً حجاجياً يخضع هذه الحجج الى تراتبيه معينه بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية، فأنها تسهم ايضاَ في براعة المعنى المقصود ولا سيما اذا استعمل كل حرف واستغلت وظيفته في الموضع المناسب، فذلك يزيد من الاثبات على المعنى من جهة، ويلقي على الخطاب نوعاً من التنظيم والانسجام مرة اخرى[37].

وفي هذا المورد سنحاول ان نبين عمل هذه الروابط في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) وبيان مستوى دعمها لعمل المحاججة.

أ. الرابط الحجاجي (ثم):

ينهض الرابط (ثم) على أساس الترتيب والتراخي[38] بمعنى أن الثاني يأتي بعد الأول بمهلة، وهو أن يقع المعطوف بعد المعطوف عليه بعد انقضاء مدة بينهما، وأن هذه المدة قياسها متروك لما متعارف عليه وشائع، فضلاً عن السياق إذ لا يمكن وضع ضابطٍ يحدد المدة طويلة أو قصيرة[39] لأن ما يعد وقتاً قصيراً في موقف ما قد يكون طويلاً في غيرها، فلا يوجد قطعية على مقدار التراخي من جهة اللفظ[40].

ومثالها في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) قولها: (ابتدع الأشياء لا من شيْ كان قبلها، وانشأها بلا احتذاء امثلة امتثلها كونها بقدرته، وذرأها بمشيئتهِ...تعبداً لبريتهِ واعتزازاً لدعوتهِ، ثم جعل الثواب على طاعتهِ، ووضع العقاب على معصيتهِ)[41]

فالحجج التي أقامتها السيدة الزهراء(عليها السلام) متتالية ومرتبة تتسق وتنسجم مع ما ينبغي ان يكون عليه العبد في اللقاء الأخروي، وقد أفادت (ثم) في إقامة هذه التراتبية في عرض الحجج وبحسب سياقاتها، وحقيقة (ثم) هنا للدلالة على التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليه، وهذه المرحلة مرتبطة بالزمن الحقيقي الفعلي مقترنا بزمن نفسي مفعم بالاحاسيس التي ترتكز على الوعد والبشارة بالجنةِ والجزاء الآخروي.

ومنه قولها (عليها السلام): (فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله على عرفانها فأنار الله بأبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ظلمها، وكشف من القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها...، ثم قبضه الله إليه قبضة رأفة واختيار، ورغبة وإيثار)[42].

نلحظ هنا ان الرابط (ثم) قد توسطت بين الأفعال المتناسقة للدلالة على التراخي وإعطاء المهلة، وكأن بين الأفعال المتناسقة تراخياً زمنياً مع إفادة الترتيب في الغاء هذه الحجج.

وفي ختام هذا البحث لابدّ من القول: أنّ ما عرضناه من روابط حجاجية من الأمثلة الواردة في الخطبةِ الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) تمثل الأستعمال الحجاجي دون غيرها من الأستعمالات الأخرى.

الخاتمة:

بعد أن منْ الله علينا بإنجاز البحث والنظر في الحجاج بوصفهِ منهجاً لتحليل الخطاب عبرَ بنيتهِ، وخصائصهِ، وأساليبهِ، وبعدَ أنّ انتهينا من اجراءات هذا المنهج في مدونةٍ تراثيةٍ هي: الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (عليها السلام) لا بد لنا بجمع شتات بحثنا، وعرضها بشيْ من التركيز بما يأتي:

1- اعتمد المنجز النصي في خطبتها (عليها السلام) على الحجاج اللغوي بوصفهِ ظاهرة لغوية نجدها في كل قول، وفي كلّ خطاب بحسب رأي ديكرو.

2-كشفت لنا المدونةِ عن بعض الآليات اللغوية الحجاجية من حيث الأعتناء بحروف الربط، وحسن أختيارها، واماكن تواجدها في النفس من أجل توجيه الكلام نحو آفاق واضحة يرومها الباث منذ البداية، وهذا ما يعرف ب(الروابط الحجاجية).

3-كان دور الروابط الحجّاجية في سياق الكلام التأثير، والإقناع وانتقاء مواضعها في الخطاب النصي من أجل هذه الغاية، وتوصّل المقاصد الحجاجية التي يريدها، لذلك اعطت السيدة الزهراء (عليها السلام) هذه الروابط اللغوية دوراً كبيراً من تأدية المعنى، وانسجام هذه الكلام لتنحصر وظيفتها الحجاجية داخل اللغة مما يمنح الخطاب رونقاً قوياً ومؤثراً.

والحمد لله ربّ العالمين

الهوامش:

(1). ينظر: لسان العرب: مادة: ر ب ط.
(2). معجم المصطلحات النحوية والصرفية: 90.
(3).ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: 10.
(4). ينظر: الحجاج والمعنى الحجاجي: 63.
(5). دروس في الحجاج الفلسفي: 58.
(6). نظرية الحجاج في اللغة: 377.
(7). Ducrot ، Lesehlles argumentation p: 15
(8). الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: 101.
(9)ينظر: نفسه: 104.
(10). استراتيجيات الخبطاب: 58.
(11). ينظر: الحجاج في الدرس اللغوي الغربي: 74.

(12). ينظر: تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية المعاصرة: 117.
(13). ينظر: الحجاج في الدرس اللغوي الغربي: 74 واللغة والحجاج: 55.
(14). نظرية الحجاج في اللغة: 376.
(15). ينظر: اللغة والحجاج: 56.
(16). ينظر: نظرية الحجاج في اللغة: 371.
(17). اللغة والحجاج: 63.
(18). ينظر: التحرير والتنوير: 16 / 226.
(19). ينظر: معاني النحو: 3 / 224.
(20). ينظر: الجامع لإحكام القرآن: 11 / 281.
(21). ينظر: النحو الوافي: 3 / 445 ــ 446.
(22). ينظر: اللغة والحجاج: 61 ـ 63.
(23). الاحتجاج: 1/ 144.
(24). الاحتجاج: 1/ 144.
(25). المصدر نفسه: 140/1
(26). اللغة والحجاج: 57.
(27). الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه: 318.
(28). معاني الحروف: 196.
(29). ينظر: الحجاج واللغة: 57.
(30). الحجاجيات اللسانية عند إنسكومبر وديكرو: 235 ــ 236.
(31) الاحتجاج: 141/1
(32) ينظر: اللغة والحجاج: 27
(33) ينظر: اللغة والحجاج/ 73
(34) ينظر: الاحتجاج: 1 / 144
(35) الاحتجاج:1/ 144.
(36) الاحتجاج: 1/ 136.
(37) ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر (رسالة ماجستير): 93
(38). ينظر: مغني اللبيب: 158.
(39). ينظر: النحو الوافي: 3 / 413.
(40). ينظر: البحر المحيط: 2 / 64.
(41) الاحتجاج: 133/1.
(42) المصدر نفسه: 1/ 135

. قائمة بالمصادر والمراجع

. القرآن الكريم

. الاحتجاج، الشيح الطبرسي، تح: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعةِ والنشر، النجف الاشرف، 1966.
. اساس البلاغة، الزمخشري، تح: عبد الرحيم محمود، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1998.
. استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط1، 2004.
. الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة الى وضع القوانين الضابطة لها، ادراوي العياشي، دار الامان، الرباط، ط1، 2011.
. اسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة وتعليق، احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998.
. الاسلوبية وتحليل الخطاب، نور الدين السد،دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997،
. الاصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1999،
. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 2002.
. البرهان في علوم القران، الزركشي، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط1، 1957.
. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
. تحليل الخطاب الأدبي – دراسة تطبيقية، ابراهيم صحراوي، دار الافاق، ط1، 1988.
. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، حققه وشرحه، احمد الحوفي وبدوي بطانة، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1983.
. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، (د.ت)
. بلاغة الحجاج في النص الشعري، التميزي، يوسف محمود، بحث منشور في مجلة دمشق المجلد 29.
. الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ اسماعيل علوي واخرون، ط1، عالم الكتب الحديث اربد، الاردن، 2012.
. لسان العرب، ابن منظور، نشر ادب الحوزة، 1405هـ.
. معاني الحروف الرماني، تح: عبد الفتاح اسماعيل شبلي، ط3، دار الشروق، جدة، 1984.
. منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القَرطاجّني، تقديم وتحقيق، محمد الحبيب بن خوجه، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966.